الهوية الوطنية ودورها في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي

م.م محمد جبير عباس **م.م وليد حميد حسين**

جامعة الفلوجة/ كلية الإدارة والاقتصاد

waleed.h.hussein@uofallujah.edu.iq

mohammed.j.abbas@uofallujah.edu.iq

الملخص

تعتبر الهوية الوطنية من الأسس الرئيسية التي تساهم في بناء مجتمع متماسك ومترابط، حيث تعمل على تعزيز الانتماء والولاء بين أفراد المجتمع. تلعب الهوية الوطنية دورًا كبيرًا في تعزيز التماسك الاجتماعي من خلال توحيد المواطنين حول قيم ومبادئ مشتركة، مما يسهم في تقليل الانقسامات والتوترات بين مختلف الفئات الاجتماعية والدينية والعرقية.

أما على الصعيد السياسي، فإن الهوية الوطنية تعتبر حجر الزاوية في الاستقرار السياسي، إذ تعزز الوحدة الوطنية وتدعم الاستقرار المؤسسي، حيث يسهم الانتماء إلى هوية مشتركة في تعزيز ثقة المواطنين في مؤسسات الدولة وحكوماتها. كما أن الهوية الوطنية تساهم في تعزيز مشاركة الأفراد في الحياة السياسية والاجتماعية، مما يقوي من استدامة النظام السياسي ويجعله أكثر قدرة على مواجهة الأزمات الداخلية والخارجية.

الكلمات المفتاحية: (الهوية الوطنية، التماسك الاجتماعي، الاستقرار السياسي).

National identity and its role in promoting social cohesion and political stability

Assistant lecturer. Mohammed Jubair Abbas

Assistant lecturer. Waleed Hameed Husain

University of Fallujah - College of Administration and Economics

mohammed.j.abbas@uofallujah.edu.iq

waleed.h.hussein@uofallujah.edu.iq

Abstract

National identity is one of the main foundations that contribute to building a cohesive and connected society, as it works to enhance belonging and loyalty among community members. National identity plays a significant role in promoting social cohesion by uniting citizens around shared values and principles, which helps reduce divisions and tensions between various social, religious, and ethnic groups.

On the political level, national identity is considered the cornerstone of political stability, as it strengthens national unity and supports institutional stability. Belonging to a shared identity enhances citizens' trust in state institutions and governments. Furthermore, national identity contributes to increasing individual participation in political and social life, which strengthens the sustainability of the political system and makes it more capable of facing internal and external crises.

Keywords: (National identity, social cohesion, political stability).

المقدمة

الهوية الوطنية تعد من المفاهيم الأساسية التي تساهم في تشكيل الشخصية الجماعية لشعب معين، حيث تجمع بين عناصر تاريخية وثقافية واجتماعية تؤثر في سلوكيات الأفراد وعلاقاتهم ضمن المجتمع. هي الرابط الذي يوحد الأفراد في وطن واحد رغم تنوعهم العرقي والديني والثقافي، وتساهم بشكل كبير في تعزيز التماسك الاجتماعي.

تلعب الهوية الوطنية دورًا محوريًا في بناء الاستقرار السياسي، حيث أن التماسك الاجتماعي الناتج عن الإحساس بالهوية المشتركة يسهم في تقوية وحدة الدولة وتماسك مؤسساتها. من خلال تعزيز الانتماء الوطني، يمكن تقليل الفجوات الاجتماعية والسياسية، وبالتالي تحسين قدرة الدولة على مواجهة التحديات السياسية والاقتصادية.

في هذا السياق، تُعتبر الهوية الوطنية ركيزة أساسية لتحقيق الاستقرار السياسي، حيث تعمل على تفعيل المشاركة المجتمعية وتقوية الولاء الوطني، مما يساهم في تعزيز السلم الاجتماعي والمحافظة على الأمن الداخلي.

أهمية البحث

الهوية الوطنية هي الرابط الذي يوحد أفراد المجتمع حول تاريخ وثقافة وقيم مشتركة، مما يعزز الانتماء الوطني والشعور بالوحدة. تلعب هذه الهوية دورًا مهمًا في تعزيز التماسك الاجتماعي، حيث تساهم في تقليل التفرقة بين فئات المجتمع المختلفة وتعزز التعاون بين الأفراد. كما أن الهوية الوطنية تساهم في الاستقرار السياسي من خلال تقوية الولاء الوطني، مما يساعد على تعزيز الوحدة الوطنية ودعم مؤسسات الدولة في مواجهة التحديات الداخلية والخارجية.

اهداف البحث

١- تعزيز الانتماء الوطني وتقوية شعور الأفراد بالارتباط بوطنهم واعتزازهم بتاريخهم وثقافتهم.

٢- تعزيز الوحدة الوطنية وتوحيد المواطنين على أساس قيم ومبادئ مشتركة، مما يسهم في تقليل الانقسامات الاجتماعية.

٣- الحفاظ على التراث الثقافي وحماية وترويج القيم والعادات والتقاليد التي تشكل أساس الهوية الوطنية.

٤- تعزيز التماسك الاجتماعي وتقوية الروابط بين مختلف فئات المجتمع لتعزيز التعاون والتفاهم.

٥- دعم الاستقرار السياسي وتقوية الولاء للمؤسسات الوطنية وتعزيز استقرار النظام السياسي.

٦- تعزيز المشاركة المجتمعية وتشجيع المواطنين على المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية لبناء مستقبل مشترك.

مشكلة البحث

تتمثل المشكلة في التحديات التي تواجه تعزيز الهوية الوطنية ودورها في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي في المجتمعات المعاصرة. على الرغم من أهمية الهوية الوطنية في توحيد أفراد المجتمع حول قيم ومبادئ مشتركة، إلا أن التعددية الثقافية والدينية والعرقية، فضلاً عن الانقسامات الاجتماعية والسياسية، قد تؤثر سلبًا على تعزيز هذه الهوية. كيف يمكن للدولة والمجتمع التغلب على هذه التحديات لتعزيز الهوية الوطنية بما يسهم في تحقيق التماسك الاجتماعي واستقرار النظام السياسي؟

فرضية البحث

تساهم الهوية الوطنية في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي من خلال تقوية الشعور بالانتماء والولاء الوطني، مما يساعد في تقليل الانقسامات الاجتماعية، دعم الوحدة الوطنية، وتعزيز الاستقرار المؤسسي والسياسي في المجتمع.

منهجية البحث

المنهج الوصفي التحليلي: سيتم استخدامه لوصف وتحليل دور الهوية الوطنية في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي من خلال تحليل البيانات المستخلصة من الدراسات السابقة والتقارير.

المنهج الاستقرائي: سيتم استخدامه لاستنباط نتائج حول تأثير الهوية الوطنية على التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي من خلال دراسة حالات وتجارب الدول المختلفة.

المبحث الأول

مفهوم الهوية الوطنية واهميتها ومقوماتها

تعتبر الهوية الوطنية من المفاهيم الأساسية التي تشكل نسيج المجتمعات الحديثة، حيث تعكس مجموعة القيم والمعتقدات والتراث الثقافي التي تربط الأفراد بوطنهم. تساهم الهوية

الوطنية في تعزيز الانتماء، وتعزز العلاقات الاجتماعية، وتوفر شعورًا بالأمان والاستقرار، وتتجلى أهمية الهوية الوطنية في دورها كوسيلة لحماية الهوية الثقافية من الاندماج الثقافي السلبي الذي قد ينتج عن العولمة، كما تسهم في بناء علاقات إيجابية بين الأفراد في المجتمع. وتتضمن مقومات الهوية الوطنية عدة عناصر، منها التاريخ المشترك، واللغة، والدين، والعادات والتقاليد، والتي تشكل في مجملها إطارًا لفهم الذات الجماعية.

يسعى هذا المبحث إلى استكشاف مفهوم الهوية الوطنية، وتحليل أهميتها ومقوماتها المختلفة، وكيف يمكن أن تسهم في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي في المجتمعات.

المطلب الأول

مفهوم الهوية الوطنية واهميتها

الهوية في اللغة بأنها الشخص او الشيء نفسه وليس شيئاً اخر، وهي مشاعر الفرد تجاه نفسه وشخصيته وأهدافه واصوله، اما الهوية كمفهوم تعرف بأنها تعبير عن حقيقة الشيء المطلقة المشتملة على سماته الجوهرية كاشتمال النواة على الشجرة، وتطلق على التشخيص والشخص ذاتها والوجود الخارجي، اما الوطنية لغة هي منسوبة الى الوطن، وطن بالبلد: اتخذه محلاً وسكناً يقيم فيه وبالتالي هي تعبير عن حب الوطن والإخلاص له والتضحية من اجلة، اما الوطنية كمفهوم يقصد بها مشاعر الفرد الإيجابية اتجاه وطنه وتبدو في قيامه بحقوقه وواجباته، وعليه فأن الهوية الوطنية في ابسط معانيها هي شعور الفرد بالانتماء الى امة واحدة، وترتبط بهوية الفرد داخل المجموعة والتمايز بين المجموعات، وهي الاطار المرجعي الذي يعرف من خلاله أعضاء المجتمع ويظهر انتمائهم لهذا المجتمع ويبني عليه استحقاقات ومصالح للاعضاء والمجتمع معاً[١].

ويمكن تعريف الهوية الوطنية على انها (مجموع السمات والخصائص المشتركة سواء كانت تاريخية وثقافية وانثربولوجية واجتماعية ونفسية وسياسية وكذلك الشعور بالتضحيات لمجتمع يقطن وطن معين من غيره، وفي ظل حكومة تمثل كل او معظم هذا المجتمع، ويعتز بها وتشكل جوهر وجوده وشخصيته المتميزة ويدين المجتمع بالولاء لها، ويتبين من التعريف

أعلاه ان مفهوم الهوية الوطنية يعني التمايز لجماعة سياسية عن غيرها من الجماعات الأخرى، وهذا المفهوم له أهمية خاصة في المجتمعات التي تتكون من جماعات مختلفة ومتباينه في أصولها العرقية واللغوية والدينية[٢]. وذلك فإن الهوية الوطنية يقصد بها حب الوطن والإخلاص والتضحية من اجله والتي هي عبارة عن مزيج من العناصر الداخلية والخارجية للفرد ذات ترابط وشائجي وعاطفي تتضمن الانفعال والشعور والتمثل الذهني اتجاه الوطن والاقليم جغرافياً والمنتوج المادي للوطن، كالتاريخ واللغة والدين والتراث والعادات والتقاليد والرموز الثقافية التي تميز الوطن من غيره من الاوطان.

ويرى العديد من المختصين ان الهوية الوطنية بطابعها المركب اجتماعي-سياسي هي مفهوم حديث النشأة بزغ مع بزوغ الدولة المركزية الحديثة او ما يطلق عليها بالدولة-الامة بعد معاهدة ويستفاليا عام ١٦٣٨ والاصل في مفهوم الدولة- الامة ان تعبر الدولة عن امة ذات هوية وطنية قائمة على أساس العقل الجمعي وتجمعها رابطة وطنية ذات هوية وطنية جامعة عابرة للهويات والانتماءات الفرعية[٣]. وبالتالي فإن أهمية الهوية الوطنية امر مهم في جميع الأوقات ولكن تزداد أهميته في وقتنا الحالي نظراً لما تتعرض له مجتمعاتنا العربية من الانفتاح على الثقافات الأخرى، وتقليد بعض افراد المجتمع وخاصة الشباب لسلوكيات غربية عن مجتمعاتنا، وفي الوقت ذاته لابد من مواكبة التطورات المعاصرة مع المحافظة على هويتنا الوطنية، وقد اخذت الدول وبخاصة حديثة الاستقلال التركيز على معالم شخصيتها الوطنية من خلال ابراز الجوانب الثقافية- كاللغة والفن والاناشيد الوطنية وطابعها المعماري ووضع مناهج وطنية للتربية والتعليم تجسد الهوية الوطنية، وتكمن أهمية تعزيز الهوية الوطنية بأنها تجعل المجتمعات متوحدة من الداخل، فهي تكسب الفرد شعورا بالانتماء للدولة، اول الوطن، وتسهم في مساعدته على التواصل مع الافراد الاخرين دون شرط المعرفة السابقة بهم من خلال بناء وخلق روابط افتراضية بين مختلف الافراد او الجماعات في المجتمع، وتعزيز أهمية الهوية الوطنية من اهم العوامل التي تستند اليها الدول والمجتمعات للمحافظة على بقائها واستمرارها[٤].

إنَّ أهمية تعزيز الهوية الوطنية في المجتمعات تتجلى فيما يلي[5]

١- شعور الفرد بهويته الوطنية يولد لديه حب وطنه والاعتزاز به.
٢- غرس الانتماء في نفوس الافراد يعزز من رغبتهم المستمرة في الارتقاء بهم.
٣- اظهار القيم والسلوكيات التي تميز بها المجتمع من غيره.
٤- تحقيق العدالة الاجتماعية بين الافراد والمساواة بينهم في كافة الحقوق، والتعبير عن احتياجاتهم وتلبية رغباتهم المشروعة.
٥- غرس روح التعاون بين افراد المجتمع.
٦- مواجهة المشكلات والتحديات التي تواجه الافراد، ووضع حلول ومقترحات لها.

المطلب الثاني

مقومات الهوية الوطنية

تتعدد الآراء حول المقومات الأساسية التي تقوم عليها الهوية الوطنية، اذ يراها البعض قائمة على عنصرين أساسيين هما التاريخ والثقافة، واضعاً في اعتبارة ان الثقافة تشمل اللغة والدين والتراث، بينما يرى اخرون تفصيل تلك المقومات لتشكل رباعية اللغة والدين والتاريخ والتراث الشعبي لأصحاب الهوية الوطنية الواحدة، وايا ما كانت تلك الرؤى المختلفة فإنه ثمة اتفاق، على المقومات الأربعة الأساسية سالف الإشارة اليها، ويمكن تفصيل هذه المقومات على النحو التالي:

أولاً- اللغة: ان الحديث عن طبيعة اللغة ومكوناتها يقود الى فهم دقيق لهوية الامة وكيفية تشكيلها، ذلك ان اللغة عند النظر اليها كأداة للتواصل الإيجابي بين البشر نجد ان هذا التواصل اللفظي يجعل الانسان يخضع لعادات وتقاليد سلوكية وكلامية، تلزمه بأن يتصرف وفق منطق معين يرضي الجماعة التي ينتسب اليها[٦]، لذلك ان الهوية الثقافية ركن ركين من اركان الهوية الوطنية لأي مجتمع، وان مقوماتها هي بالضرورة من مقومات الهوية الوطنية، سنجد ان اللغة هي احد مقومات الهوية الوطنية، ذلك لانها أساس الهوية الثقافية فاللغة هي روح الامة، لانها الوعاء الفكري واللفظي الذي يعبر عن مكوناتها الفكرية الوجدانية والتي من خلالها يتواصل افراد

المجتمع، لذلك فإن مجتمعاتنا تعد اللغة العربية احدى الركائز الأساسية التي تحقق للامة القوة والمنعة، باعتبارها أداة لتوطيد الروابط وتدعيم التفاهم والتقارب.

ثانياً- التاريخ: يرى ابن خلدون ان التاريخ هو تسجيل للاحداث الماضية وفهم كيفية حدوثها، وعليه فإن معرفة الفرد للتاريخ وادراكه له ووعيه به يساعد كل من الفرد والجماعة في تكوين الحاضر والمستقبل وذلك لا يكون الا بإستيعابه وفهمه وقرائته، وعند ربط التاريخ بالهوية يقدم لنا عبدالله العروي الهوية التي يعتبرها وعي لذات ليس الا في الأساس وعي للغرب، وكذلك وعي للماضي وان العرب في تعريفهم للهوية يربطونها بالتاريخ القومي واستمراريته، كما يرى نديم بيطار في دراساته عن حدود الهوية القومية بأن الهوية الام هي الهوية التاريخية والتاريخ هو الذي يشكلها، وهو يعني لا وجود لهوية خارج المجتمع والتاريخ، فالامة وحدها تملك الهوية سواء كانت جماعة او فرداً فالهوية مثل الأرض والوطن بالنسبة للشعب وللامة، فلا يمكن التخلي عنها او التفريط بها تحت أي ظرف من الظروف، فمعرفتنا الحقة لتاريخ هو ترسيخ وتجسيد للهوية ومنه يتحقق المقوم التاريخي في تأسيس الهوية ومعالمها[٧].

ثالثاً- الدين: يعد انتساب الافراد الى ديانة واحدة من العوامل التي تجعلهم يشعرون بأنهم مشتركون في هوية جماعية واحدة، فسكان الوطن لا يأتي انتمائهم الا للهوية الوطنية، ولذلك للدين دور مهم في تقوية ملامح الهوية المشتركة الجماعية، مثلما تتغذى الهوية على عنصرين اللغة والتاريخ ترتكز كذلك على الدين والقيم الدينية، والهوية التي تستند الى مجموعة هذه المقومات من لغة ودين وتاريخ مشترك هي بالطبع اقوى وامتن من تلك التي تستند الى احداهما فقط، ومن ثم فإن اشتراك العرب في العقيدة الدينية الإسلامية يدعم من شعورهم بالانتساب الى هوية عربية إسلامية واحدة[٨].

رابعاً- التراث: وهو مقوم مهم من مقومات الهوية الوطنية ويقصد به جماع ما وصلنا من انتاج الاقدميين من فكر وعلوم ومعارف وحرف وفنون وعادات وتقاليد وطقوس وطرز معمارية....الخ، وهو يشكل جزءاً من الموروثات التاريخية والثقافية التي تتوارثها الأجيال في المجتمعات، وفي أهمية مكون التراث ذكر ان امة بلا تراث هي امة بلا هوية[٩].

في ختام هذا المبحث، نجد أن الهوية الوطنية تمثل الأساس الذي يجمع الأفراد في مجتمع معين، حيث تعكس الثقافة، والتاريخ، والقيم المشتركة. تتكون مقومات الهوية الوطنية من اللغة، والدين، والتقاليد، والموروثات الثقافية، التي تشكل سلوك الأفراد وتوجهاتهم، ويعد ضرورة ملحة تعزيز الهوية الوطنية لمواجهة التحديات العالمية، حيث يسهم في بناء مجتمع متماسك قادر على المحافظة على خصائصه الفريدة لذا، يجب العمل على تعزيز هذه المقومات، لضمان استمرارية الهوية الوطنية وتعزيزها في نفوس الأجيال القادمة.

المبحث الثاني

العلاقة التكاملية بين الهوية الوطنية وتعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي

العلاقة بين الهوية الوطنية، التماسك الاجتماعي، والاستقرار السياسي ليست مجرد تداخل، بل هي علاقة تكاملية يدعم كل عنصر فيها الآخر. فالتماسك الاجتماعي الذي يُبنى على أساس الهوية الوطنية يسهم في خلق بيئة مستقرة سياسيًا، بينما يوفر الاستقرار السياسي المناخ المناسب لتعزيز الهوية الوطنية. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه العلاقة التكاملية لفهم دورها في بناءً المجتمعات وتحقيق استدامتها في مواجهة التحديات المتنوعة.

المطلب الأول

التماسك الاجتماعي كنتاج للهوية الوطنية

تعزيز الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي يتمثل في بناء مجتمع قوي ومستدام فإن العلاقة بين الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي علاقة تكاملية فالهوية الوطنية تُعزز الشعور بالوحدة والانتماء، مما يخلق بيئة تساعد على تحقيق التماسك الاجتماعي، بينما يساهم التماسك الاجتماعي في صقل وتعزيز الهوية الوطنية عبر التفاعل والتكاتف بين أفراد المجتمع.

إنَّ تحقيق ذلك يتطلب توازنًا بين تعزيز الفخر بالهوية الوطنية وتعزيز التسامح وقبول التنوع مما يمثلان أساسًا مهمًا لبناء مجتمع قوي ومتجانس يساهم تحقيق ذلك في تعزيز الانتماء والوحدة بين أفراد المجتمع ، ولابد من الاندماج بين الفئات والطوائف وتعزيز ذلك عن طريق التعليم مما يقلل التمييز ويعزز الانتماء بغض النظر عن اختلافاتهم الثقافية أو الاجتماعية نتيجة لذلك

يساهم في بناء بيئة تعاونية قادرة على التصدي للتحديات المختلفة والمضي قدمًا نحو مستقبل أفضل(١٠) .

تتشكل الهوية الوطنية وتأخذ هيئتها بالاستناد إلى الماضي ويشكل الماضي بحد ذاته تاريخ الجماعة أو المجتمع وينحسب ذلك على الهيئة الاجتماعية

التماسك الاجتماعي كنتاج للهوية الوطنية يُشير إلى العلاقة التفاعلية بين الشعور بالانتماء الوطني والقدرة على بناءً مجتمع متعاون ومترابط.

فيما يلي **مؤشرات الهوية الوطنية لتحقيق التماسك الاجتماعي:**

أولاً- عوامل تعزيز العلاقة بين الهوية الوطنية والتماسك الاجتماعي.

١-التعايش السلمي: تعمل الهوية الوطنية على تعميق روابط الانتماء المشترك وتكريس الوعي على الأفكار والتصورات حول الخصائص والسمات المشتركة في الوعي الجمعي لدى أفراد المجتمع مما يؤدي إلى تعزيز بنية الوعي الوطني

فالهوية الوطنية بوصفها جزءا من الحدود الإنسانية ولابد أن يتشكل مفهومها على الأساس الشامل للتعايش السلمي لتحقيق التماسك الاجتماعي داخل المجتمع لا أن تتشكل على أساس جغرافي أو سياسي بمعنى أن يكون للهوية الوطنية الثقل في تغليب أي مكون من مكوناتها على الآخر وتبقى هي الإطار الأوسع لكل الهويات الفرعية وكنتيجة لها أن تشعر أبناء الجماعة الوطنية بأنهم جزء من نسيج الوطن (١١) .

٢- التعاون والتضامن: تُشكل الهوية الوطنية مصدر إلهام للمواطنين للعمل معًا لمواجهة التحديات المشتركة، مثل الكوارث الطبيعية، والاستجابة للأزمات، وبناء مستقبل أكثر استدامة وبهذا الشكل يُعتبر التعاون والتضامن دعامة قوية لتحقيق مجتمع متماسك يُقدّر التنوع ويحترم الاختلافات.

التعاون والتضامن يُعدّان من القيم الأساسية التي تُعزز الهوية الوطنية وتُسهِم في تحقيق التماسك الاجتماعي فالتعاون يشير إلى الجهود المشتركة بين الأفراد والجماعات لتحقيق أهداف ومصالح مشتركة بينما يعكس التضامن شعورًا بالمسؤولية المتبادلة والانتماء إلى مجموعة واحدة ونتيجة لذلك تعد هذه القيم جزءًا أساسيًا من الهوية الوطنية ، فإنها تُساعد في بناء جسور الثقة وتعزيز التفاهم بين مختلف فئات المجتمع فالهوية الوطنية التي تتبنى قيم التعاون والتضامن تسهم في خلق بيئة يشعر فيها الأفراد بالمساواة والمشاركة، مما يعزز من اندماجهم في المجتمع ويقلل من التوترات والانقسامات [١٢] .

٣-التعليم: التعليم ركيزة أساسية واداة استراتيجية لنقل القيم والمبادئ التي تعزز الشعور بالانتماء للوطن وتنمي الوعي بمسؤوليات الفرد تجاه مجتمعه في بناء الهوية الوطنية وتعزيز التماسك المجتمعي من خلال غرس مفاهيم الوحدة الوطنية والتسامح والاحترام المتبادل في نفوس الطلاب منذ الصغر، مما يساهم في إنشاء أجيال تحمل رسالة الانسجام والتكافل، إلى جانب ذلك يُمكن للمجتمع التغلب على الانقسامات الاجتماعية والثقافية عن طريق تقديم فرص متساوية للجميع دون تمييز مما يعزز العدالة الاجتماعية ويعمق الفهم المشترك بين مختلف شرائح المجتمع، كما أن المؤسسات التعليمية تلعب دوراً محورياً في بناء الهوية الوطنية، إذ تعمل على نقل التراث الثقافي والمعرفي وتعريف الأفراد بتاريخ وطنهم، لغتهم، وعاداتهم، ما يؤدي إلى توحيد التوجهات والقيم الوطنية . **نلاحظ** ان التعليم لا يقتصر على كونه وسيلة معرفية فقط بل هو منصة للتفاعل الاجتماعي حيث يلتقي الأفراد من خلفيات متنوعة ويتعلمون العمل معاً لتحقيق أهداف مشتركة هذه التفاعلات تساهم في تعزيز الروابط بين الأفراد مما يجعل المجتمع أكثر انسجاماً وقوة في مواجهة التحديات. مما تقدم لا يزال التعليم في العراق أمام مفترق طرق إما أن يكون أداةً لإعادة بناء الهوية الوطنية عبر تكريس قيم العدالة والانتماء المشترك، أو أن يظل رهينة الصراعات السياسية[١٣]، بيد ان تحقيق التوازن بين الاعتراف بالتنوع وبناء الهوية الجامعة يتطلب إرادةً سياسيةً شاملة، واستثماراً في الإنسان قبل الحجر ليكون التعليم جسرا نحو عراق جديد متعدد في مكوناته موحد في طموحاته يعزز المستوى الجمعي في شكله التطوعي والاختياري لتجسيد الهوية

الوطنية في التنظيمات والأحزاب وتغليب العمل المؤسساتي والقانوني مهما كبر او صغر على الخضوع للجزئيات الفرعية والمتمثلة في صراع الهويات، وان يكون الانتماء منظومة الجماعة لا الافراد وبما يعزز ثقافة السلام كضامن للهوية الوطنية في سبيل ترجمتها الى واقع ويكون للتماسك الاجتماعي الدور الابرز في تنمية روابط الجماعة في المجتمع العراقي[١٤] .

ثانياً – تحديات الهوية الوطنية في تحقيق التماسك الاجتماعي

١- الاعلام: في ظل مجتمعٍ متعدد الإثنيات والأديان والمذاهب مثل العراق ، يبرز الإعلام كأحد أهم الأدوات الفاعلة في تشكيل الهوية الوطنية وترسيخ التماسك الاجتماعي أو تفكيكهما وفقاً لطبيعة الخطاب الذي يتبناه والسياقات السياسية والثقافية المحيطة ، فالإعلام بوصفه مرآةً تعكس واقع المجتمع وأداة قادرة على صياغة الوعي الجمعي ، يملك قدرة فريدة على تعزيز الانتماء إلى الوطن الواحد عبر سرديات مشتركة ، أو إثارة الانقسامات عبر خطابات استقطابية تكرس الهويات الفرعية في العراق ، حيث تشكلت الهوية الوطنية عبر تاريخٍ معقد من التعايش والتوترات يحمل الإعلام مسؤولية مضاعفة إما أن يكون جسرا للوحدة في بلد مزقته الحروب والصراعات أو أن يتحول إلى ساحة لاستمرار الصراع الهوياتي[١٥].

واجه الإعلام العراقي تحديات أعاقت دوره في تمكين الهوية الوطنية لتعزيز التماسك الاجتماعي، منها:

أ. تسييس الإعلام وتمويله المشبوه: ارتبطت العديد من الوسائل الإعلامية بأحزاب سياسية أو جهات خارجية مما حوّلها إلى منصات دعاية تكرس الانقسام الطائفي أو الإثني.

ب. خطاب الكراهية والتطرف: خلال ذروة العنف الطائفي (٢٠٠٦-٢٠٠٨)، استُخدمت بعض المنصات الإعلامية لنشر خطاب تحريضي ضد مكونات محددة، كما حدث مع برامج دينية أو سياسية حولت الخلافات إلى صراعات وجودية.

ت. انتشار الشائعات عبر الإعلام الرقمي: فكلما زادت الصراعات الاجتماعية زادة الاعتمادية على وسائل الاعلام وصعود منصات التواصل الاجتماعي لاشباع حاجة الفرد من المعلومات ،

أصبحت الأخبار الكاذبة والمضللة أداة لتأجيج الاحتقان، خاصة خلال الأزمات السياسية ، مثل احتجاجات تشرين ٢٠١٩ أو الخلافات بين بغداد وإربيل.

ث. غياب التشريعات الحامية: افتقر العراق إلى قوانين فعالة تنظم العمل الإعلامي وتجرم خطاب الكراهية في ظل هيمنة النخب السياسية على المشهد الإعلامي.

رغم التحديات يبقى الإعلام قادرا على لعب دور محوري في إعادة بناء الهوية الوطنية وتعزيز التماسك المجتمعي من خلال : [١٦]

١. تعزيز الإعلام المستقل والحيادي بمعنى دعم مؤسسات إعلامية غير خاضعة للتبعية السياسية ، مثل شبكة الإعلام العراقي لتقديم محتوى يعكس تنوع العراق دون تحيز، مع إبراز القصص الإنسانية المشتركة بين المكونات.

٢. توظيف الفن والتراث المشترك من خلال إنتاج أعمال درامية وأغاني تعيد إحياء الرموز الثقافية الجامعة ، مثل تراث بابل وآشور أو تسليط الضوء على العادات الاجتماعية المشتركة بين العرب والأكراد والتركمان.

٣. الحوارات الوطنية عبر المنصات الإعلامية يمكن تبني برامج حوارية تناقش قضايا الهوية والمواطنة ، وتستضيف ممثلين عن جميع المكونات لتعزيز ثقافة القبول بالآخر.

مما تقدم لا يزال الطريق طويلا أمام الإعلام العراقي ليكون أداة فاعلة في تحقيق الهوية الوطنية، خاصة في ظل بيئة سياسية واجتماعية تشوبها صراعات بين الحين والأخر، إلا أن هذه المهمة ليست مستحيلة إذا ما جعل الإعلام صوتا للجميع لا صوتا للفئة ضد أخرى، فالهوية العراقية ليست هوية أحادية بل هي فسيفساءَ من الألوان المتعددة التي تلتقي تحت سماء الوطن بإمكان الإعلام أن يتحول من أداة لتكريس الانقسام إلى جسر للوحدة ، عبر خطاب يؤمن بالتعددية، ويصنع من الاختلاف مصدرا للقوة لا للضعف فقط ، عندما يدار الإعلام بمسؤولية ووعي

سيتمكن العراق من بناء الهوية على أساس المواطنة، لا الانتماءات الضيقة وبالنتيجة يكون التماسك الاجتماعي مصدرا لقوة الجماعة والمجتمع(١٧).

٢-العولمة والتأثيرات الخارجية : تتفاعل العولمة في العراق عبر محددات منها اقتصاديا عبر الاعتماد المفرط على النفط واستثمارات الشركات متعددة الجنسيات، وثقافيا عبر انتشار القيم الغربية عبر وسائل التواصل الحديثة، مما يهدد الموروث التقليدي في المقابل تتجلى التأثيرات الخارجية سياسيا في تدخل القوى الإقليمية والدولية في تشكيل النظام السياسي، مما يعمق الانقسامات الطائفية ويُضعف الوحدة الوطنية هذه العوامل مجتمعة تطرح إشكالية التماسك المجتمعي، خاصة بعد عقود من العنف الطائفي وعدم الاستقرار ، فالتاريخ العراقي الحديث، المليء بالتدخلات الخارجية منذ الحقبة الاستعمارية مرورًا بالاحتلال عام ٢٠٠٣ وصولًا إلى التأثيرات الإقليمية الحالية، يجعل الهوية الوطنية عرضةً لصراعات داخلية وخارجية.

من جانب اخر فالعولمة تتيح فرصًا للاندماج في الاقتصاد العالمي وتبادل الثقافات، مما قد يُثري الهوية العراقية ويجعلها أكثر شمولية إلا أن تحقيق هذا التوازن يتطلب سياسات واعية تعزز الهوية المشتركة دون إقصاء التنوع، عبر تعليم شامل وإعلام مسؤول وحوكمة رشيدة، إن مواجهة التحديات تتطلب تضافر جهود المؤسسات الحكومية والمجتمع المدني والمواطنين، من أجل بناء مجتمع قوي قادر على مواجهة التأثيرات الخارجية والاستفادة من مزايا العولمة دون فقدان هويته الوطنية.

المطلب الثاني

توظيف الهوية الوطنية لتعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي

أنَّ توظيف الهوية الوطنية لايعد مجرد عملية رمزية أو شعارات فارغة بل هو استراتيجية شاملة تُمكن الدولة من مواجهة التحديات المعاصرة، وتوفير بيئة من الثقة والطمأنينة تساعد في بناء مستقبل واعد يسوده السلام والاستقرار السياسي والاجتماعي، إذ تشكل الهوية الوطنية مجموعة من القيم، والتاريخ، والعادات، والتقاليد التي تجمع أفراد المجتمع وتُعرّفهم على أنهم جزء من كيان واحد، مما يعزز الانتماء والولاء للدولة ، ولا بد من توظيف الهوية الوطنية

على مواجهة التحديات التي يفرضها التطور التكنولوجي، والتداخل الثقافي، والصراعات السياسية والاقتصادية ففي ظل تزايد الفجوات الاجتماعية والانقسامات الطائفية أو الإقليمية، تبرز الحاجة إلى إعادة التأكيد على الروابط المشتركة التي تُكرّس روح الوحدة والتضامن بين المواطنين وهنا يلعب تعزيز الهوية الوطنية دورًا محوريًا في كبح جماح النزاعات، وخلق بيئة سياسية مستقرة [١٨].فيما يلي مؤشرات تأثير توظيف الهوية الوطنية لتعزيز الاستقرار السياسية والاجتماعي

أولاً- آليات توظيف الهوية الوطنية لتعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي

١-تعزيزالمشاركة المدنية والسياسية :- تعزيز المشاركة المدنية والسياسية يعتبر أحد الأدوات الحيوية لتوظيف الهوية الوطنية في بناء مجتمع متماسك ومستقر سياسيا واجتماعيا في العراق، فمن خلال إشراك المواطنين في عملية صنع القرار وتفعيل دورهم في الحياة السياسية، يتم تعزيز الشعور بالانتماء والهوية المشتركة.

يسهم هذا النهج في تقليل التوترات والصراعات الطائفية والإثنية من خلال توحيد الجهود نحو أهداف وطنية مشتركة كما أن تعزيز المشاركة المدنية والسياسية يمكّن المواطنين من التعبير عن آرائهم واحتياجاتهم، مما يساعد على تحقيق العدالة الاجتماعية وتوسيع قاعدة الشرعية للنظام السياسي.

في السياق العراقي، حيث تتداخل التحديات الأمنية والاجتماعية مع الإرث الثقافي والتاريخي الغني فإن الاستثمار في الهوية الوطنية المشتركة عبر أدوات المشاركة يعد وسيلة فعالة لتعزيز الاستقرار والتعايش السلمي بين مختلف مكونات الشعب[١٩].

٢-تشجيع الحوار الوطني الشامل:- يعد الحوار الوطني الشامل أحد الأدوات الأساسية لتوظيف الهوية الوطنية في تعزيز الاستقرار السياسي والاجتماعي في العراق من خلال فتح قنوات التواصل بين مختلف مكونات المجتمع، يُمكن تجاوز الخلافات وتعزيز التفاهم المتبادل.

الحوار الوطني الشامل يهدف إلى بناء جسر يربط بين وجهات النظر المختلفة ويعزز الشعور بالهوية المشتركة بين العراقيين إنه عملية تمكن الأطراف كافة من المشاركة في صنع القرار السياسي والاجتماعي بما يضمن العدالة والمساواة، ويحد من النزاعات والانقسامات.

في بلد كالعراق الذي يتمتع بتنوع ثقافي وديني كبير فإن تعزيز الحوار الوطني يمهد الطريق للتعايش السلمي والتعاون لتحقيق أهداف التنمية والاستقرار. بهذا الشكل، يصبح الحوار وسيلة لتوظيف الهوية الوطنية المشتركة كإطار يُوحد الجهود لبناء مستقبل مستدام وآمن ، ويمكن تطبيق الحوار الشامل من خلال

أ- فتح منصات تجمع مختلف الأطياف الاجتماعية والسياسية لتبادل الآراء حول القضايا الوطنية.

ب-تعزيز ثقافة التسامح والتعايش بين مختلف المكونات في المجتمع.

٢- الاستقرار السياسي والاجتماعي

الاستقرار السياسي والاجتماعي يمثل أساسا قويا لتحقيق هوية وطنية متماسكة وتعزيز التماسك المجتمعي في أي دولة، فهو يخلق بيئة تتيح لجميع أفراد المجتمع العيش في ظل مناخ من الأمن والطمأنينة مما يشجع على الإبداع والتنمية ويعزز الشعور بالانتماء للوطن.

يكون هناك استقرار سياسي عندما تترسخ القيم الديمقراطية ويتمكن المواطنون من ممارسة حقوقهم بحرية مما يسهم في بناء ثقة متبادلة بين الحكومة والمجتمع وفي الوقت نفسه يساعد الاستقرار الاجتماعي على تقوية الروابط بين مختلف الفئات الاجتماعية وتخفيف حدة الخلافات التي قد تنشأ نتيجة للتنوع الثقافي أو الاقتصادي.

هذا الاستقرار يدعم الهوية الوطنية من خلال تعزيز القيم المشتركة التي تجمع بين المواطنين، مثل احترام القانون والالتزام بالمبادئ الوطنية، فالاستقرار يشجع على تبني سياسات تعليمية وثقافية تهدف إلى نشر الوعي بأهمية الوحدة الوطنية، ويعمل كحافز لتكريس الولاء والانتماء

بالإضافة إلى ذلك، يسهم الاستقرار في تعزيز التماسك الاجتماعي عن طريق بناء جسور التفاهم بين المجتمعات المختلفة وتقديم الفرص المتساوية للجميع.

مما تقدم يمكن القول إن الاستقرار السياسي والاجتماعي ليس فقط وسيلة لضمان أمن المجتمع وتقدمه لكنه أيضا أداة محورية في تشكيل هوية وطنية جامعة، وتقوية أواصر التضامن والاندماج بين جميع أفراد في المجتمع العراقي.

ثانياً- رؤية مستقبلية عن الهوية الوطنية ودورها في تعزيز التماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي

في عالم يتسم بالتغيرات المتسارعة بسبب العولمة والتكنولوجيا والتحولات البيئية، ستلعب الهوية الوطنية دوراً محورياً كجسر بين التراث والمستقبل، وكقوة دافعة للتماسك الاجتماعي والاستقرار السياسي من خلال الاتي[٢٠]

١- الهوية الوطنية المرنة والمتعددة الأبعاد

ضرورة انتتطور الهوية الوطنية لتصبح أكثر شمولاً وتكيفا، تجمع بين الأصالة والانفتاح ولن تختزل في رموز تقليدية فحسب، بل ستشمل:

٢- التعليم كأداة لبناء الهوية

ضرورة ان تعتمد الأنظمة التعليمية على:

- مناهج تفاعلية تعلم التاريخ بمنظور نقدي، وتبرز إسهامات جميع فئات المجتمع.
- مشاريع تربط الطلاب باحتياجات مجتمعاتهم، مثل مبادرات الاستدامة أو التضامن الاجتماعي، مما يعزز الشعور بالمسؤولية المشتركة.
- تقنيات الواقع الافتراضي لتجسيد قصص التنوع الثقافي وإحياء الذاكرة الجمعية بطرق مبتكرة.

٣- الاسهام بالمنصات الرقمية الذكية و خلق حوارات بين المجموعات المختلفة، باستخدام الذكاء الاصطناعي لتحليل التوجهات الاجتماعية وطرح مبادرات توافقية في المقابل، ستطور

الحكومات آليات لحماية الهوية من التفتت الرقمي، مثل تشريعات تحدّ من التضليل الإعلامي وتعزز المحتوى المحلي الهادف.

٤- السياسات الشاملة لتعزيز الاستقرار

- تشريعات تضمن التمثيل العادل للجميع في المؤسسات السياسية والثقافية.
- برامج اقتصادية تعالج الفجوات الاجتماعية، لأن العدالة الاقتصادية ركن أساسي للتماسك.
- مشاركة المواطنين في صياغة السرد الوطني عبر مجالس استشارية دائمة، مما يعزز الثقة في النظام السياسي.

مما تقدم الهوية الوطنية المستقبلية ستكون كائنا حيا يتنفس التنوع ويتغذى على الحوار ولن تكون قيدا يحد من الانفتاح، بل إطارا يحيط بفسيفساء الثقافات والقيم تحت مظلة أهداف مشتركة وبهذا تصبح الهوية عاملا حاسما في تحقيق الاستقرار، حيث يشعر الأفراد بأنهم شركاء في مصير مشترك قادرون على تجاوز الخلافات من أجل صالح الوطن والإنسان.

الخاتمة

يعتبر تعزيز الهوية الوطنية في العراق تحدياً رئيسياً في ظل التنوع الإثني والديني والثقافي الذي يميز نسيجه الاجتماعي، بالإضافة إلى التحديات التاريخية والسياسية التي عصفت بالبلاد منذ عقود، لقد أظهر البحث أن الهوية الوطنية المشتركة تشكّل ركيزة أساسية لبناء التماسك الاجتماعي وتحقيق الاستقرار السياسي، خاصة في مجتمع يعاني من انقسامات عميقة ناجمة عن الصراعات الطائفية والمناطقية، وتدخلات خارجية وغياب رؤية موحدة للهوية الوطنية أدى إلى تفاقم الانقسامات، إلى أن إحياء الهوية الجامعة ممكن عبر سياسات تشاركية وشاملة. إن تعزيز الهوية الوطنية في العراق ليس خياراً فحسب، بل ضرورة لضمان بقاء الدولة واستقرارها و يتطلب ذلك إرادة سياسية حقيقية ومشاركة مجتمعية فاعلة ودعما دوليا يبتعد عن الأجندات المصلحية فقط عبر الاعتراف بالتنوع كقوة وبناء مؤسسات تجسد العدالة والمساواة، يمكن للعراق أن يتجاوز ماضيا مليئا بالصراعات نحو مستقبل يكرّس التماسك الاجتماعي كضامنٍ للاستقرار السياسي. خلص البحث الد عدة نتائج وتوصيات منها.

النتائج

١. تهيمن الهويات الفرعية (الطائفية، العشائرية، الإثنية) على المشهد الاجتماعي العراقي، مما يُضعف الانتماء للدولة ويُعيق بناء الثقة بين مكونات المجتمع.

٢. تعمقت هذه الانقسامات بعد عام ٢٠٠٣ بسبب النظام السياسي القائم على المحاصصة، والذي حوّل الهويات الفرعية إلى أدوات للصراع على السلطة والموارد.

٢. غياب رواية تاريخية موحدة وعادلة يسهم في استمرار حالة الانقسام، حيث تُستخدم الروايات المتنافسة لتبرير العنف والتطرف.

٣. استغلت الجهات الإقليمية والدولية الانقسامات الداخلية لتعزيز نفوذها، مما زاد من تعقيد بناء الهوية الوطنية.

٤. الأزمات الأمنية (مثل ظهور تنظيم داعش) كشفت هشاشة التماسك الاجتماعي، لكنها أيضاً أبرزت فرصاً لتعزيز الوحدة في مواجهة التهديدات المشتركة.

التوصيات

١. الانتقال من نظام المحاصصة الطائفية إلى نظام يقوم على الكفاءة والمواطنة المتساوية، مع ضمان تمثيل عادل لكل المكونات دون إقصاء.

٢. تعزيز اللامركزية الإدارية لتلبية مطالب الأقاليم مع الحفاظ على الوحدة الوطنية.

٣. إدخال مناهج تعليمية تُركّز على القيم الوطنية المشتركة، وتُبرز التنوع العراقي كإثراء لا كتهديد.

٤. دعم حملات إعلامية تروج لرموز وطنية جامعة (كالتراث الحضاري، والإنجازات العلمية، والأعياد الوطنية).

٥. تشجيع المشاريع الاقتصادية والاجتماعية المشتركة بين المحافظات لتعزيز التفاعل الإيجابي.

٦. تبني سياسة خارجية متوازنة تحافظ على السيادة الوطنية وتحد من تأثيرات الصراعات الإقليمية.

٧. تعزيز التعاون مع المنظمات الدولية لدعم برامج المصالحة المجتمعية.

الهوامش والمصادر

١. جاسم ،خيري عبد الرزاق. ٢٠١٩ . إشكالية الهوية الوطنية في العراق وسبل ترسيخها، مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية- جامعة بغداد، مجلة حمورابي، العدد ٣٠- السنة السابعة.

٢. الحربي، عبد الرحيم نويجع جابر. ٢٠٢٢. دور منهج التاريخ في تعزيز ابعاد الهوية الوطنية لدى طلاب التعليم الثانوي نظام المقررات بالمملكة العربية السعودية، مجلة البحث في التربية وعلم النفس، مجلد ٣٧، العدد

٣. حسين ،سعدي إبراهيم. ٢٠١٤ .الفدرالية والهوية الوطنية العراقية ، ط٢، دار الكتب العلمية ، بغداد .

٤. حسين، احمد. ٢٠١٦. الهوية العربية مقوماتها ومحددات تعريفها: اطار نظري ومقاربة تحليلية، المجلة الاجتماعية القومية، المجلد الثالث والخمسون، العدد الثاني.

٥. الدين ، يحيى مصطفى كمال .٢٠٢١. ولاء السيد عبدالله السيد صقر، وسائط الجامعات لتنمية الهوية الوطنية: دراسة مقارنة في مصر وفرنسا واليابان، مجلة كلية التربية- جامعة عين الشمس، العدد الخامس والاربعون (الجزء الأول).

٦. السامر ، عبدالسلام محمد . ٢٠١٠ . الاعلام والهوية الوطنية العراقية ، مجموعة باحثين ، التعليم وتعزيز الهوية الوطنية في العراق ، الندوة العلمية في جامعة بغداد .

٧. صفاء ،كويزي . ٢٠٢٠. إشكالية الهوية بين الأيديولوجيا والتاريخ عند أبو القاسم سعد الله، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح-ورقلة.

٨. عادل، شهيب احمد . ٢٠٠٩ . الثقافة والهوية – إشكالية المفاهيم والعلاقة ، موقع ارنتروبوس، الملتقى الدولي الثاني حول مجتمع المخاطرة –جامعة جيجل ، الجزائر ، تاريخ الزيارة ٢٠٢٥/١/١٧ ، https://www.bing.com/ck/a

٩. عبدالمجيد، سازان سامان . ٢٠١٥ . تقييم النخبة لدور وسائل الاعلام العراقية في مواجهة الطائفية، رسالة ماجستير منشورة في كلية الاعلام ، جامعة البترا ، الأردن .

١٠. اللبان . شريف درويش- اللهيبي .ليث عيادة. ٢٠١٤ .التعددية الإعلامية في العراق: أداة للوحدة الوطنية ام وسيلة للصراع، المركز العربي للبحوث والدراسات، تاريخ الزيارة ٢٠٢٥/١/١٧

١١. اللبان. شريف درويش - اللهيبي. ليث عيادة، مصدر سابق.

١٢. اللهيبي، فائز صالح . ٢٠٠٩ ، إشكالية بناء الهوية الوطنية العراقية ، مجلة دراسات إقليمية ، مركز الدراسات الإقليمية ، العدد ١٣ ، الموصل .

١٣. مجموعة مؤلفين، ٢٠٢٠ .التمكين السياسي لمحافظ الانبار، ط١، نشر وتوزيع المكتبة القانونية، شارع المتنبي، بغداد، العراق.
١٤. المصدر نفسة.
١٥. المصدر نفسه .
١٦. المصدر نفسه.
١٧. المصدر نفسه.
١٨. ميكشيللي، اليكس. ١٩٩٣ . الهوية ، ترجمة علي وطفي ، ط١ ، دار الوسيم للخدمات الطباعية، دمشق.
١٩. هاشم ، رضا محمد حسن . ٢٠٢٣ . الأنشطة الطلابية ودورها في تعزيز الهوية الوطنية لدى طالبات السنة التحضيرية بجامعة الامام عبدالرحمن بن فيصل على ضوء رؤية المملكة ٢٠٣٠، مجلة كلية التربية، جامعة عين الشمس، العدد السابع والاربعون (الجزء الثالث).
20. Global education monitoring report, 2019: Migration, displacement and education: "Building Bridges, Not Walls"
https://www.google.com/url